

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مادة : الإعجاز في الكتاب والسنة

أستاذ المادة : د. عادل حسن

المحاضرة الثامنة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عنوان هذه المحاضرة :

(الإعجاز العلمي للقرآن الكريم - ١)

وفيها ما يلي:

تمهيد.

أولاً: معنى الإعجاز العلمي، وكونه دليلاً على صدق محمد ﷺ في رسالته.

ثانياً: مبررات الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

ثالثاً: أهمية وفوائد دراسة الإعجاز العلمي.

رابعاً: أوجه الإعجاز العلمي في القرآن.

خامساً: ضوابط الكلام في الإعجاز العلمي للقرآن.

تمهيد:

القرآن معجزة محمد ﷺ للبشرية كلها في كل زمان ومكان، إلى قيام الساعة؛ لأنه مرسل إلى الناس جميعا إلى قيام الساعة، فلا بد أن تكون معجزته دائمة متجددة؛ لتتم الحجة على الناس في أي زمان ومكان.

فلا بد أن يكون للقرآن معجزة دائمة، ومن ثم فإنه يعطي عطاء مناسبًا لكل جيل، لم يعطه للأجيال السابقة عليه.

وقد جاء في القرآن أشياء لو أن أحدًا أخبر بها وقت نزوله لاتهم الذين قالوها بالجنون، ولكنها جاءت للعصور القادمة، جاءت لتتحدى عبر الأجيال إلى يومنا وإلى الأيام القادمة.

وإذا كنا تحدثنا عن بعض أوجه الإعجاز القرآني فهي أوجه أثبتها السابقون، وتحدثوا عنها، واستفاضوا فيها.

وفي العصر الحاضر لما ارتفعت أسهم العلم التجريبي والمكتشفات العلمية، وأصبحت مصدر زهو العلماء وافتخارهم واعتزازهم، أظهر الله وجهها من أوجه إعجاز كتابه الكريم على أيدي العلماء -من المسلمين ومن غير المسلمين- يتناسب مع ما يعنيه ويبهرهم، ألا هو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

وذلك الإعجاز هو السبق العلمي للقرآن الكريم الذي ذكر حقائق في الكون، لم تكن البشرية -وقت نزوله، وإلى وقت قريب- تعلم عنها شيئاً.

هذا الباب من أبواب الإعجاز العلمي للقرآن بدأ الكشف عنه في خلال السنوات القليلة الماضية، ونعتقد أنه إلى أمد طويل قادم سيظل الناس يبحثون فيه.

أولاً: معنى الإعجاز العلمي، وكونه دليلاً على صدق محمد ﷺ في رسالته

١- تعريف العلم:

العلم: هو «إدراك الأشياء على حقائقها»، أو: هو «صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً».

٢- معنى الإعجاز العلمي:

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم هو: إخبار القرآن بحقائق أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ.

أو هو: إبراز الآيات القرآنية التي أشارت إلى الحقائق الكونية المتعلقة بالآفاق والأنفس، والتي جاء العلم الحديث موافقاً لها.
أما وصف الإعجاز هنا بأنه علمي فهو نسبة إلى العلم،
والمقصود بالعلم هنا هو: العلوم التجريبية والكونية.

٣- شرح معنى الإعجاز العلمي:

ليس القرآن كتاب علوم تجريبية، فلا هو كتاب في الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء، ولكنه مع ذلك يحوي إشارات في كل تلك العلوم.

وموضع هذه الإشارات في كتاب الله هو تعريف الناس بقدرة ربهم التي لا تحد، وبآيات قدرته في هذا الكون؛ ليعرفوا أنه لا إله غيره، فيعبدوه وحده بلا شريك، ويتبعوا ما أنزله إليهم.

وبعض هذه الإشارات كان معلوماً مشاهداً بالنسبة للعرب المخاطبين بهذا القرآن أول مرة، فكان ذكرها لهم مقصوداً به إزالة الغشاوة عن بصائرهم، التي تجعلهم لا يدركون الدلالة الواضحة التي يجب أن تستمد منها، وهي أنه مادام الله على كل شيء قدير، فالعبادة ينبغي أن توجه إليه وحده دون الآلهة المزعومة.

ولكن بعض هذه الإشارات كان جديداً على أولئك المخاطبين
بالقرآن أول مرة، لا يعرفون أسرارها، أو لا يعرفون
تفصيلاتها.

قال تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ".

وقال تعالى: "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ".

وفي عصرنا هذا الذي اتسعت فيه دائرة العلوم وانكشف فيه كثير من أسرار الكون، تبينت للناس حقائق كثيرة لم تكن معلومة من قبل، ووجدنا آيات قرآنية فيها إشارات واضحة لهذه الحقائق.

ولذلك يعرف الدكتور زغلول النجار الإعجاز العلمي بقوله: «يقصد به: سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها، إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن الكريم».

٤- دلالة الإعجاز العلمي على صدق محمد ﷺ في رسالته:

إن المتأمل في أحوال العالم قبل نزول القرآن، يرى التخلف الهائل في مجال العلوم الكونية، وكيف اختلطت المعارف الكونية للإنسان، بالسحر والكهانة والأوهام، حتى غلبت الخرافة وسادت الأساطير على الفكر الإنساني. ولقد انتظرت البشرية طويلاً -بعد نزول القرآن- إلى أن امتلكت من الوسائل العلمية، ما يكشف لها أسرار الكون. فإذا بالذي يكتشفه الباحثون بعد طول بحث ودراسة، تستخدم فيها أدق الأجهزة الحديثة، يكون مقررًا في آية، نزلت قبل ألف وأربعمائة عام، وذلك فيما تعرض له الوحي من حقائق.

وما كان العرب الذين خوطبوا بهذا القرآن، بحاجة إلى هذه الأوصاف والأنباء المستفيضة فيه عن الكون وأسراره، لإثبات صدق الرسول ﷺ؛ وذلك لأن القرآن تحداهم بالإعجاز البياني،

لكنه الوحي المعجز؛ الذي يحمل بينة صدقه معه، لجميع البشر، في عصورهم المختلفة، وأطوارهم المتباينة؛ ليقيم الحجة على البشر في كل زمان ومكان، على صدق الرسول ﷺ في رسالته، وأن القرآن من عند الله حقاً وصدقاً.

وصدق الله إذ يقول: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ".

إذن: فالإعجاز العلمي للقرآن هو موقف تحدّ نثبت فيه للناس كافة -مسلمين وغير مسلمين- أن: هذا الكتاب الذي أنزل قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، على نبي أمي، في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يستطع الإنسان أن يصل إلى شيء من إدراكه إلا منذ عشرات قليلة من السنين، وبعد مجاهدة استغرقت جهود أعداد كبيرة من العلماء في فترات زمنية طويلة.

فيستحيل أن يكون محمد ﷺ هو مؤلف القرآن من عند نفسه، أو أن يكون له أي مصدر آخر من المصادر التي يزعمها المستشرقون وغيرهم من أعداء الإسلام.

فلا يمكن إلا أن يكون مصدره رب هذا الكون.. رب العالمين.

ثانيًا: مبررات الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

١- أن القرآن الكريم أنزل إلينا لفهمه ، والآيات التي فيه إشارات أو حقائق علمية فيه لا يمكن فهمها فهما صحيحا في إطار اللغة وحدها، بل لابد من الرجوع إلى بعض الحقول العلمية؛ لفهم هذه الآيات.

٢- أن الدعوة بالإعجاز العلمي أصبحت هي الوسيلة المناسبة لأهل عصرنا -عصر العلم والتقنية-، الذي فتن الناس فيه بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة، حتى نبذ كثير من أهل الأرض الدين وراء ظهورهم ونسوه، وأنكروا الخالق سبحانه، كما أنكروا البعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك.

٣- أن الإسلام يتعرض اليوم لهجوم شرس في محاولة لإنكار ربانية القرآن الكريم ، ونبوة خاتم المرسلين ﷺ . وأهم الوسائل وأنجعها للرد على هذا الهجوم هو إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

٤- أن في إثارة قضية الإعجاز العلمي استنهاضا لعقول المسلمين، واستثارة للتفكير الإبداعي فيها، وتشجيعا للاهتمام بقضايا العلوم والتقنية، التي تخلفت فيها الأمة خلفا كبيرا، فأخذت الهوة تزداد بيننا وبين الغرب يوما بعد يوم.

ثالثاً: أهمية وفوائد دراسة الإعجاز العلمي

١- الأثر البالغ الذي تتركه في قلوب المسلمين، بزيادة اليقين عندهم لدى رؤيتهم هذه الحقائق الباهرة؛ التي تعد بمثابة المعجزات التي رآها الصحابة الكرام.

فإذا كان الصحابة قد رأوا العشرات من المعجزات في أحوال مختلفة، والتي تسمى دلائل النبوة، والتي تشهد للرسول ﷺ، وتثبت إيمان المؤمنين وتقويه، فإن الإعجاز العلمي في عصرنا الحاضر، يقوم مقام المعجزات المشاهدة في عصر الرسول ﷺ.

٢- الرد العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة
المحمدية؛ حيث إن تلك الحقائق أخبر عنها نبي أمي في زمن
لا يوجد فيه تقدم علمي، كما أنه لا توجد في المجتمع وكذا
البيئة التي عاش فيها أي أثر من علم في تلك الميادين الكونية.
بل لم يستطع أحد أن يثبت وجود تعارض أية دلالة كونية
واردة في القرآن الكريم مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم.
فالإعجاز العلمي في القرآن يضع هؤلاء
موضع العجز عن التشكيك في القرآن إلا أن يتبرأ من العقل،
فإن الحقائق العلمية التي جاء ذكرها في القرآن، ولم يعرفها
العلماء إلا حديثاً، لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً
على أن خالق هذه الحقائق هو منزل هذا القرآن .

٣- تعتبر قضية الإعجاز العلمي خير مشجع لهم المسلمين كي يساهموا بنشاط في خدمة العلم التجريبي، مسترشدين بالإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم.

٤- تعتبر قضية الإعجاز العلمي من أنجع الوسائل للدعوة إلى الله في الأوساط العلمية.

وكثير من العلماء من غير المسلمين كان سبب إسلامه دقة ما يصفه القرآن، ومعاينة لطائف الإعجاز العلمي في القرآن، من خلال تخصصه.

ومن أمثلة هؤلاء: عالم من علماء الأجنة، نادرًا ما يوجد أحد درس علم الأجنة ولم يقرأ له، وهو (كيف موري) الكندي، الذي يقول:

«لم نعلم على وجه اليقين ان الإنسان يخلق في أطوار محددة، فيكون في الأول نطفة، ثم علقه ولها خصائصها، ثم مضغة ولها خصائصها ومكوناتها، ثم يتحول إلى هيكل عظمي، ثم يكسى الهيكل العظمي باللحم، ثم يكتمل التكوين من ٤٣ إلى ٤٦ يومًا، لم نعلم ذلك إلا في سنة ١٩١٢، ولكن القرآن والسنة تحدثا عن هذا الأمر وأوضحاه توضيحًا لا شك معه، واستيقنت أنه من عند الله، وأنا اشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله».

٥- يساعد الإعجاز العلمي كثيراً من الشاردين عن الإسلام والغافلين عن عظمتة، في الرجوع إلى دينهم والاعتزاز بالانتساب إليه، حيث يرون العلماء من غير المسلمين يسلمون؛ بسبب اطلاعهم على عظمة القرآن، وتوافقه مع الحقائق الكونية في الآفاق والأنفس.

رابعًا: أوجه الإعجاز العلمي في القرآن

وتتمثل هذه الأوجه في أمور، أهمها ما يلي:

١- التوافق الدقيق بين ما في نصوص الكتاب والسنة، وما كشفه علماء الكون من حقائق كونية، وأسرار علمية، لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزول القرآن.

٢- عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره على كثرتها، وبين الحقائق العلمية المكتشفة على وفرتها.

٣- إذا جمعت نصوص الكتاب، وجدت بعضها يكمل بعضها الآخر، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن، وفي مواضعها من الكتاب الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند الله.

٤- سن التشريعات الحكيمة، التي قد تخفى حكمتها على الناس، وقت نزول القرآن، وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات.

خامسًا: ضوابط الكلام في الإعجاز العلمي للقرآن

إن موضوع الإعجاز العلمي محفوف بالمخاطر لو ترك الحبل فيه على الغارب، ليتحدث فيه من شاء بما يشاء، وقد ينقلب على أصحابه؛ وبخاصة أن بعض الدراسات في هذا الموضوع انطلقت من غير ضوابط، يقودها الحماس والرغبة في إثبات سبق القرآن إلى الإشارة إلى بعض المعارف الكونية،

فكان لا بد من ضوابط، تكبح جماح الفكر والخيال والسعي وراء النظريات والفرضيات.
وهذه الضوابط كثيرة، أهمها ما يلي:

١- حسن فهم النص القرآني الكريم وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، ووفق قواعد تلك اللغة وأساليب التعبير فيها؛ وذلك لأن القرآن الكريم قد أنزل بلسان عربي مبين، على أن لا يخرج باللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقريضة كافية، وعند الضرورة القصوى.

ومن هنا فلا يمكن إثبات الإعجاز العلمي بتأويل النص القرآني.

٢- جمع القراءات المتواترة المتعلقة بالآية القرآنية الكريمة إن وجدت.

٣- مراعاة السياق القرآني للآية المتعلقة بإحدى القضايا الكونية، دون اجتزاء للنص عما قبله وعما بعده.

٤- لا يجوز أن يوظف في قضية الإعجاز العلمي إلا الحقائق العلمية القاطعة، التي حسمها العلم، ولم تعد مجالاً للخلاف. فبعض الباحثين تدفعهم الحماسة، فيتلقفون كل نظرية علمية يظنون فيها تأييداً أو إثباتاً لإشارة من الإشارات الواردة في القرآن، فيسارعون إلى تبنيها، ويتحدثون عن إعجاز هذه الآية أو تلك بناء هذه النظرية.

وليس كل ما يقال في الساحة العلمية حقائق، فبعضها لا يزيد على كونه فروضاً علمية، وبعضها مازال في طور النظرية، لم يصل إلى حد أن يصبح حقيقة علمية موثقاً بها.

فإذا وظفت في الإعجاز العلمي الفروض والنظريات -وهي عرضة للتغير والتبديل-، ثم ثبت عكس بعض هذه النظريات والفروض وتبين خطأها، انهارت القضية وبطل التحدي، بل انقلب الأمر على صاحبه، وعلى قضية الانتصار للقرآن برمتها، بل اتخذ ذلك ذريعة للهجوم على القرآن من حيث أراد من وظف هذه الفروض غير الثابتة الانتصار له من خلالها.

كما حاول بعضهم أن يفسر قوله تعالى: "وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" بما يتفق مع نظرية التطور التي قال بها دارون، بينما أصحاب النظرية ذاتهم يتشككون اليوم في صدقها، وينحون في تفسير الحياة على الأرض منحى غير منحى دارون.

فالقرآن غني بدلائل الإعجاز فيه، سواء الإعجاز البياني الذي تحدى الله به البشر جميعاً، والبلغاء في أولهم، فعجزوا عن الاتيان بمثله، أو بألوان الإعجاز الأخرى التي سبق معنا بعضها، ولا يحتاج أن نلتمس له أسانيد من النظريات العلمية المتداولة اليوم، التي قد يظهر بطلانها غداً.

ولكن الذي ينبغي أن يوظف ههنا هو الحقائق العلمية التي ثبتت صحتها، والتي نجدها متوافقة مع ما جاء في القرآن، أو مفسرة له فنعتمدها، ونتخذها دليلاً يضاف إلى الأدلة القائمة من قبل على أن هذا القرآن وحي رباني، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٥- عدم التقليل من جهود العلماء السابقين في محاولاتهم المخلصة لفهم دلالة تلك الآيات الكونية في حدود المعلومات التي كانت متاحة لهم في زمانهم.

وذلك لأن الآية الكونية الواردة في كتاب الله تتسع دلالتها مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية، في تكامل لا يعرف التضاد، حتى يظل القرآن الكريم معطاءً في دلالات آياته، مهما اتسعت دوائر المعارف الإنسانية، وهذا من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

٦- مراعاة التخصص الدقيق في إثبات وجه الإعجاز العلمي في الآية القرآنية؛ لأن هذا مجال تخصصي على أعلى مراحل التخصص، فلا يجوز أن يخوض فيه كل خائض.

كما يجب التأكيد على أنه لا يمكن لفرد واحد ان يغطي كل جوانب الإعجاز العلمي، الذي هو موجود في أكثر من ألف آية قرآنية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة، وبخاصة أن هذه الآيات تغطي مساحة هائلة من العلوم المكتسبة التي تمتد من علم الاجنة إلى علم الفلك وما بينهما من مختلف مجالات العلوم والمعارف الإنسانية.

فلا يمكن إثبات ما في هذه الآيات من العلمية المتوافقة مع ما عرف من حقائق العلوم المكتسبة، إلا إذا ردت كل قضية إلى محققها من المتخصصين.

٧- عدم التكلف في الكلام عن الإعجاز العلمي لبعض النصوص القرآنية، ومحاولة لي أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية؛ لماذا؟

- لأن القرآن الكريم أعز علينا وأكرم من ذلك،
- ولأن أوجه إعجازه كثيرة لا تقتصر على الإعجاز العلمي،
- ولأن القرآن الكريم ليس في حاجة قطعاً إلى الانتصار له بالتكلف والتعسف.

٨- التأكيد على أن ما توصل إليه المحقق العلمي في فهم دلالة الآية الكريمة ليس منتهى الفهم لها؛ لأن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، فعطاءات آياته في دلالاتها دائمة ومتجددة.

٩- الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي للآية أو الآيات القرآنية الكريمة؛ من مثل المعادلات الرياضية المعقدة، والرموز الكيميائية الدقيقة، إلا في أضيق الحدود اللازمة لإثبات وجه الإعجاز.

١٠- الأخذ في الاعتبار إمكانية الانطلاق من الآية القرآنية الكريمة، للوصول إلى حقيقة كونية، لم يتوصل العلم المكتسب إلى شيء منها بعد.

١١ - ضرورة التفريق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي:
فالإعجاز العلمي يقصد به إثبات سبق القرآن الكريم للإشارة
إلى حقيقة من الحقائق الكونية أو تفسير ظاهرة من ظواهره،
قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاوّل من القرون،
وفي زمن لم يكن لأي من البشر إمكانية الوصول إلى تلك
الحقيقة عن طريق العلوم المكتسبة أبداً.

وأما التفسير فهو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية،
إن أصاب فيها المفسر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد،
والمعول عليه في ذلك هو نيته.

وهنا يجب التأكيد على أن الخطأ في التفسير ينسحب على
المفسر، ولا يمس جلال القرآن الكريم.

وانطلاقاً من ذلك فلا بد من الحرص على توظيف الحقائق العلمية القاطعة، والتي لا رجعة فيها في كل من القضيتين. ولكن:

لما كانت العلوم المكتسبة لم تصل بعد إلى الحقيقة في كثير من الأمور، فلا حرج من توظيف النظريات السائدة المقبولة المنطقية في التفسير العلمي للقران الكريم، أما الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فلا يجوز أن يوظف فيه إلا القطعي الثابت من الحقائق العلمية التي لا رجعة فيها، وذلك في جميع الآيات الوصفية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته